المحاضرة الأولى: مدخل الى علم النفس التربوي الاجتماعي

المؤسسات التربوية ليست مجرد مكان يجتمع فيه المتعلمين من أجل إكتساب المعرفة، بل هي تكوين معقد، وهي كينونة من الإبداعات التاريخية للإنسان في مجال العطاء، حيث تطورت المؤسسات التربوية من مكان بسيط يتلقى فيه الفرد المعرفة إلى كينونة رمزية معقدة، ومن ثم تحول دورها الوظيفي من عملية تعليم الإنسان إلى تشكيل الإنسان وبناء المجتمع وإعادة إنتاجه.

وتحولت المدرسة باختصار من ظاهرة تربوية بسيطة إلى ظاهرة إجتماعية بالغة التعقيد، وإزاء هذا التعقيد والتطور المذهل، بدأ العقل يشد الرحال في طلب هذا التكوين الإجتماعي التربوي الفائق التعقيد، وبدأت الدرسات السوسيولوجية والنفسية تنطلق في إتجاه الكشف عن القانونية التي تحكم الحياة الداخلية للمدرسة.

1- تعريف علم النفس الاجتماعي

سنتطرق فيما يلي إلى بعض التعاريف التي تناولت علم النفس الاجتماعي:

يعرف كرتش وكروتشفيلد (1948) krech& cruche Field علم النفس الاجتماعي بأنه " العلم الذي يتناول سلوك الفرد في المجتمع" .

بينما عرفه بارسون Pearson (1951) بأنه" العلم الذي يهتم بدراسة توقعات الفرد وتنبؤاته لسلوكه وسلوك الآخرين نحوه".

ويعرفه عطوف ياسين (1981) بأنه" علم عمليات التفاعل السلوكي بين الأفراد".

ويضيف ليبين عملية التفاعل على أنها تتضمن حقيقتان أساسيتان:

-عمل الإنسان له دافع وموجه نحو هدف.

-عمل الإنسان متكامل.

ويعرف أيضا بانه" العلم الذي يدرس سلوك الفرد في علاقته بالآخرين وما ينتج عن ذلك من آثار مباشرة او غير مباشرة في روابط ديناميكية بين معتقدات الفرد وآرائه وظروف البيئة واستعداداتها"

والمدرسة والعمل والسوق، والإدارة، والبنك، وكذلك بين الرؤساء والمرؤوسين والمؤسسات العامة والخاصة" (عطوف، 1981:16،17).

من هذه التعريف نجد أن هناك تأكيدا واضحا على سلوك الفرد متضمنا خبراته وتفكيره والمواقف الإجتماعية التي مر بها، وكذلك على المجال الإجتماعي الذي يتم فيه هذا السلوك.

يتضح من التعريفات أنها وإن تفاوتت في الألفاظ، فانها في واقع الحال لا تختلف من حيث السياق على أن سلوك الفرد بما ينطوي عليه من مقومات فطرية، لا بد من أن يتأثر بما يكتسبه بالتعلبم من معطيات ومؤثرات إجتماعية.

2-علاقة علم النفس الاجتماعي بالعلوم التربوية :

وفي تعريف تقريب لعلم النفس الاجتماعي المدرسي اورده (العربي فرحاتي ،2007) كالتالي : هو دراسة التأثيرات المتبادلة بين الفرد والجماعة في مختلف الأنساق التربوية في ضوء المواقف البيداغوجية التعليمية التفاعلية (العربي فرحاتي ،2007) .

حيث تعد التربية من العلوم اللصيقة بعلم النفس الاجتماعي، فالتربية في شكلها المؤسسي أو التلقائي العفوي غير الرسمي، هي فعل يجري في جماعة (شخصين فأكثر) بغرض استحداث تأثير ما بين أطراف الفعل؛ فالتربية توجد أينما وجد التفاعل بين الصغار والكبار في صيغة التنشئة الاجتماعية أو التربية النظامية المقصودة، والتعريف التقليدي لدور كايم للتربية يرسخ منحى التفاعل كوظيفة مركزية للتربية حيث عرفها على أنها تلك الأعمال التي يمارسها الكبار تجاه الصغار من أجل دمجهم في السلك الاجتماعي . فالتربية إذن مساحة للتفاعل البيداغوجي والتأثير بين الأنا والموضوع الخارجي(الإنسان الآخر، الموضوع، الأشياء الطبيعية...الخ) وهو ما يعد الموضوع المركزي لعلم النفس الاجتماعي، وبذلك فالتربية في ظل هذا المفهوم تعد من أهم مواضيع أو الظواهر التي يدرسها علم النفس الاجتماعي وميدان فسيح لتطبيقاته .

ومن منظور التحليل النفسي وحسب " أريكسون Erickson " أن تربية الطفل هي طريقة الجماعة في نقل وحدتها الجماعية إلى خبرات الطفل البدنية المبكرة وذاته الناشئة، وينتقل الطفل إلى الوحدة الاجتماعية بتربية انفعالاته في نطاق الجماعة، حيث يبني الطفل مثله الأعلى الذي يتناغم مع شخصيته ويؤهله للتكيف الاجتماعي .

ومن منظور التنشئة الاجتماعية من حيث هي فرع من فروع علوم التربية فيعد الفرد محل تمثل الأساليب الاجتماعية بعملية التقمص والتوحد التي تبدأ بالوالدية ثم تتعمم إلى من يمثلهما من المجتمع كالمعلم والمدير والرئيس والشيخ ...الخ .وبقدر استجابة الفرد وتقبله للثواب والعقاب ومختلف القوانين والقواعد الاجتماعية بقدر ما يحصل تكيف الطفل وانسجامه الاجتماعي. وبقدر ما يفتح المجتمع فرص الإشباع للذات بقدر ما يتحقق للطفل توكيد ذاته في نطاق اجتماعي معين، ودلت بحوث العالمة الأنثروبولوجية "مرجريت ميد" أن الطفل ينتقل عن طريق التربية من حالته الطبيعية البيولوجية حيث تمركز سلوكه حول الاستجابة للمنبهات البيولوجية، تطبع سلوكاته بالغريزة والإشباع الآلي، إلى حالته الثقافية حيث تتركز سلوكاته حول الاستجابة للمنبهات والمثيرات الاجتماعية فتطبع سلوكه بكل ما هو اجتماعي ويتميز بالإشباع النوعي الواعي ويتراجع سلوكه المشبع بالغرائز كلما نمى في اتجاه التكيف والتوافق، أو ما يسمى بالكائن الاجتماعي وهو الكائن الذي لا نلمسه كوجود عيني في خريطته الجينية إلا عن طريق التربية والمكتسبات الاجتماعية، فالتربية إذن تعمل لنضج كيانين في كيان واحد، يعتقد أن لهما أصولهما الفطرية، يتعلق أحدهما بتحقيق الكائن الفردي المستقل في ذاته المتميز عن الآخرين، والكائن الاجتماعي المتكيف والمندمج والمتوافق مع نظام الأفكار والمعتقدات والأخلاق والمعايير والقوانين والتقاليد والأعراف (المجتمع) ويتوقف تحقيق الكائنين على مدى تحقيق التربية للنضج السيكولوجي للفرد . الأمر الذي لا يمكن للتربية تحصيله أو بلوغه إلا بالاعتماد على معطيات بحوث علم النفس الاجتماعي التي تتناول قضايا التكيف والتأقلم والتفرد والاستقلال ...بمنهج ورؤية تكاملية تفاعلية بين الظاهرة والذات، أو بين الموضوع المدرك والذات المدركة (العربي فرحاتي ،2007) .

ومن وجهة نظر التعلم الاجتماعي ل" روتر" لتفسير السلوك الإنساني فكلمتا اجتماعي وتعلم تدلان على ان السلوك يكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي في بيئة معينة نتيجة للتجربة ، فالفرد يطور القدرة على اقتفاء أثر الأشخاص.

وتتعاظم علاقة علم التربية بعلم النفس الاجتماعي المدرسي عند الفرويديون الجدد من بينهم اريك فروم، وكارني هورني، وأدلر، وهاري ستاك سوليفان؛ فالفرد عندهم ليس بنظام مغلق بدوافع فزيولوجية بقدر ما هو مشدود إلى دوافع خارجية اجتماعية تقوم التربية بتيسير إشباعها وتمكين الفرد من أداء دوره الاجتماعي بالتأهيل الاجتماعي اللازم لتحقيق الذات . وهو الأمر الذي يجعل اللجوء للتربية من أجل معرفة الأساليب التربوية والعوامل الاجتماعية للشخصية من

الأمور الحيوية في دراسات علم النفس الاجتماعي. فتداخل اهتمامات علوم التربية كبيداغوجيا وعلم النفس الاجتماعي كبحوث أكاديمية جعلهما علمان متكاملان يتعاضدان من أجل أهداف واحدة تتعلق بتكوين الشخصية المعيارية .

2- أهمية علم النفس الاجتماعي في مجال التربية والتعليم:

تهدف التربية الحديثة إلى إعداد الفرد للحياة، فالتربية لا يقتصر إهتمامها حاليا على الجانب العقلي المعرفي فقط بل يمتد ليشمل كافة الجوانب الأخرى في الشخصية والتربية من شأنها تسهيل عملية نمو الفرد في هذه الجوانب المختلفة، لتنمو شخصيته بشكل متكامل، فالتلاميذ في المدرسة يتعلمون في جماعات ضمن فصول دراسية يشرف عليهم ويقوم بتدريسهم مدرس، وتنشأ بين المدرس والتلاميذ علاقات إجتماعية وتفاعل إجتماعي كبير، مما يتوجب على هؤلاء المدرسين أن يكونوا على معرفة ودراية كاملة بما يجب عليهم عمله مع هؤلاء التلاميذ وأن يكونوا ملمين بمبادئ القيادة الديمقراطية والعلاقات الإنسانية.

وعلم النفس الإجتماعي هو الذي يزود المدرس بالمعلومات اللازمة عن النمو الإجتماعي للطفل، ولطبيعة العلاقات الإجتماعية التي تنشأ بين التلاميذ بعضهم مع بعض، وبينهم وبين المدرس، وكذلك العوامل المؤثرة فيها، لكما يزودهم علم النفس الإجتماعي بمعلومات مهمة عن الإتجاهات وكيفية تكوينها وتعديلها أو تغييرها، وبمعلومات عن المعايير والقيم والأدوار الإجتماعية ليساعدهم في إكسابها للتلاميذ أو تعديلها عندهم، كما أن علم النفس الإجتماعي يزود المدرس بمعلومات مهمة عن التنشئة الإجتماعية للطفل، واعوامل المؤثرة فيها ونتائجها الإيجابية والسلبية التي تنعكس على شخصيته مستقبلا.